كل منهما في ماضي ايامهِ . فذكر البرنس انهُ اصطاد مرة ثعلبًا احمر . وفي الليلة التالية قال رشاد باشا انهُ اصطاد مرة ثعلبًا ازرق . فضحكت البرنسس حتى استلقت على كرسيها وقالت "وهل يكون الثعلب ازرق" ؟ فاجابها "انهُ لم يكن ازرق تمامًا يا مولاتي ولكنهُ كان مائلاً الى الازرقاق" . فعادت الى الضحك مسرورة من حسن تخلصهِ فقال لها ثانية "ولم لم تستغربي يا مولاتي الثعلب الاحمر الذي اصطادهُ سمو البرنس فارجو من سموك ان تسمحي لثعلبي الازرق مجالاً يرثُ بهِ كما مرَّ ثعلب سمو البرنس الاحمر وواحدة بواحدة" فضحك الجميع مسرورين

وحدث بين بطركخانتي الروم واللاتين مشاكل اقامت بطريركيهما وقنصل روميا وفرنسا واقعدتهم فازالـــ تلك المشاكل على احسن اسلوب ولم يدعها تصل الى الباب العالي او الى السفارتين . وساعد الاسرائيليين كثيرًا اذ كانوا مضطهدين حتى انهُ لما زار المسيو ادمون ده روتشيلد القدس وعلم بما اجراهُ شكر لهُ وعاد الى بلادهِ فرحًا مسرورًا

ولو اردت ذكر كل مناقبهِ وتعداد ايادیهِ على الذين رآهم او عرفهم ما كفاني جزء كامل من المقتطف ولكنني اكتفي بذكر حادثة واحدة وهي انني رأيتهُ ذات يوم في سنة ١٨٩٣ ذاهبًا الى البنك العثماني وعلى وجههِ لوائح الاهتمام فسألتهُ عن السبب فقال ان صديقي فلانًا في حاجة شديدة الى المال وانا ذاهب لارهن بيتي وامدهُ بالمال

وقد ترك نجلين وهما عطوفتلو علي فروخ بك القومبسير السلطاني في بلغاريا وهو من ابرع الكتبة العثمانيين وابلغ شعرائهم ومن المقربين وقد عيّن سفيرًا للدولة العلية في الولايات المتحدة قبل ان تجاوز الثلاثين . والثاني شفيقهُ محمود بك السكرتير الاول للسفارة العثمانية في مدريد وهو شاب على غاية اللطف ودماثة الاخلاق وقد تخرّج في احسن مدارس باريس . ولها والدة وشقيقة وهما من فضليات السيدات عزاهم الله جميعًا واعطاهم الصبر الجميل

كلياتس فيليبذس

المدفع الكهربائي

اخترع الاستاذ بركلند النروجي مدفعًا كهربائيًا مغنطيسيًا . وهو مؤلف من سلك كهربائي لولبي الشكل موضوع داخل انبوبة تنجذب الى داخلهِ القنبلة بقوة مغنطيسية كهربائية ثم تقف في منتصف السلك حيث يعاق المجرى الكهربائي الجاذب ويبقى المجرى الدافع . فتستمر القنبلة على سيرها الى ان تخرج من فوهة الانبوب بعزم شديد اذا كانت قوة المجرى الكهربائي شديدة

الارتقاء الفكري في تركيا

من كتاب واقعة السلطان عبد العزيز لمؤلفه احمد صاحب بك

لا يخفى على كلّ من طالع اسفار التاريخ العثماني ان الواقعة الخيرية (اي انقراض الانكشارية) كانت اعظم فاعل في احوال الدولة العثمانية . ولو درسناها بالتدقيق لرأيناها اقوى عامل على تنظيم المعيشة العمومية وتنوير اذهان قسم من الاهالي ووضع اساس العلوم والآداب العثمانية . فانهُ بعد حدوث هذه الواقعة قام فينا من الرجال والوزراء من كانوا يقدرون مراكزهم حق قدرها و يقومون بواجباتهم خيرَ قيام ولهم من الخبرة في احوال الدولة والاطلاع على الآداب العصرية ما كان يكفي لحاجاتنا . وكذلك قام فينا من الشعراء والكتّاب من بلغوا اعلى درجة من آداب الغرب والشرق وتفننوا في اساليب الكتابة وتعلموا الفنون الحديثة ولكنّ الترقي الادبي عندنا كان يسير سيرًا بطيئًا بالنسبة الى اليابان مثلاً والسبب في ذلك ميل اهل السيادة منا منذ القديم الى الشرّ اكثر من الخير وعدم مبالاة اصحاب المناصب العليا بهذا الامر او عدم قدرهم اياهُ حق قدرهِ . زِدْ على ذلك تمسك الاهالي باذيال القديم وتنورهم من كل ما هو جديد . ولكنّ روح الآداب لم تلبث ان سرتْ بين الافراد بالرّغم عن الموانع والصعوبات الكثيرة التي كانت تعترض في سبيلها . فان الآداب القديمة كانت عبارة عن التعاليم الدينيّة وقسم من اصول الانشاء ولم تكن طريقة التعليم التي وضعت منذ عهد العباسيين كافيةً لتوسيع الاذهان اذ ان الطالب كان يحصر همهُ في مطالعة المؤلفات المخطوطة ولا يلتفت الى العلوم الحديثة او بالحري الى الآداب الغربية حتى ان المطبعة التي أُنشئت في الاستانة سنة ١١٣١ هجرية لم تدم كثيرًا لرغبة علمائنا عنها ونفورهم من الاختراعات الحديثة وهكذا لم يهتم اولياء الامور منا بما عليهِ يتوقف توسيع المعارف ونشرها

ولكن بعد الواقعة الخيرية شرع اصحاب الحمية الوطنية في نشر العلوم على قدر الامكان فأُنشئت سنة ١٢٤٢ هجرية مدرسة الطبّ العسكري وأُصلحت مدرسة الطوبجية التي أُسست في عهد السلطان سليم الثالث وانشئت المدرسة الحربية في بداءة ملك السلطان عبد المجيد وعقبها انشاء المدرسة البحرية وفي اواخر ملكهِ انشئت مدرسة المعادن . وعدا عن هذه المدارس العليا انشئت مدارس اعدادية ورشدية في عدة اماكن مهمة فسدّت بعض حاجاتنا العلمية والمدارس التي أُنشئت على عهد السلطان عبد العزيز لم تكن اقلّ فائدة من المدارس التي انشئت على عهد عبد المجيد فمن تلك المدارس مدرسة الفنون الملكية التي أُسست بهمة محمد باشا القبرصلي

والمدرسة السلطانية التي انشئت بهمة سفير فرنسا الذي كان نافذ الكلمة في ذلك الحين وهي احسن مدارس الاستانة وقد خرج منها تلامذة خدموا الوطن خدمات تذكر فتشكر ولغة التدريس فيها الفرنسوية وكانت هذه لغة مدرسة الطب العسكري ايضاً ولكنها الغيت وابدلت بالتركية . وفي تلك الايام ايضاً انشئت مدرسة الطب الملكية وهي مستقلة عن الاولى . وكانت الهمة مصروفة الى انشاء المدارس الاعدادية والرشدية التي هي اعزّ فوائد من المدارس العليا لنشرها المعارف بين ابناء الطبقة العامة . وازداد شوق الاهالي الى المطبوعات التي لا تقلّ عن المدارس في تنوير الاذهان وتوسيع دائرة العقول فأُنشأ الكسندر بلاك الفرنسوي سنة ١٢٤١ هجرية جريدة في ازمير كانت تصدر باللغة الفرنسوية وكان قد انشئ قبلها جريدة على عهد السلطان سليم الثالث في سفارة فرنسا في الاستانة ولكن مواضيعها لم تخرج عن حدّ اخبار انتصار الفرنسويين في محاربتهم واذ لم يكن لها ايرادٌ يكفي للقيام بادارتها ابطلت . واجتهد الكثيرون في انشاء المطابع فاخفق سعيهم ولم تدم جريدة مدة طويلة الّا الجريدة التي كانت تصدر في ازمير وكان اسمها في الاول (Spectateur de l'Orient) اي ناظر الشرق ولكن أُبدل بعدئذٍ " برائد ازمير " (Courrier de Smyrne) . وكانت تنشر الاخبار الصحيحة وتبحث في المواضيع الموافقة لروح العصر وتنقل اخبار الثورة اليونانية من ميادين الحرب بسرعة عجيبة فذاع صيتها حتى في نفس اوربا . وفي سنة ١٢٤٦ هجرية دعا السلطان محمود صاحبها الى الاستانة واحسن اليه وامدّهُ بمال ليصدر جريدة هناك باسم (Moniteur Ottoman.) (الرقيب العثماني) وبعد سنة امر باصدار جريدة اخرى تركية في الاستانة تسمّى " تقويم الوقائع " وجعلها تحت ادارة محرر " الرّقيب العثماني " فكانت تنشر اوامر الحكومة الرسمية وترفض المقالات الاخرى بخلاف جريدة الرقيب العثماني التي كانت تنشر مقالات وابحاثاً شتّى عن الاحوال الداخلية والخارجية حتى عدّتها اوربا لسان حال الباب العالي . ودامت هاتان الجريدتان على هذا المنوال عدة سنوات . وفي سنة ١١٥٩ هجرية أُنشئت في الاستانة جريدة اخرى تدعى "جريدة الحوادث" وكانت تنشر حوادث خصوصية واخباراً رسمية ووقائع متنوّعة فراجت رواجاً باهراً في زمن قليل وعُدّت من الجرائد الرسمية للحكومة . ثم أُنشئ في الاستانة وفي غيرها جرائد غير رسمية فكثرت الصحف حتى بلغ عددها في اواخر سلطنة عبد المجيد واوائل سلطنة عبد العزيز مائيف على الثلاثين . وكان ينها اربع مجلات فنية بين شهرية ونصف شهرية واسبوعية . وهذا ممّا يدل على ان الرغبة في بثّ المعارف كانت تزداد يوماً فيوماً عند العثمانيين حتى ان بعض رجال الدولة من ملكيين وعسكريين

بذلوا جهدهم في اواخر ملك السلطان عبد العزيز في تعميم العلوم والمعارف بين ابناء وطنهم ليذوقوا ما ذاقوا هم من حلاوة العلوم

ولكن الحكومة لم تبقَ على ما كانت عليهِ بعد الواقعة الخيرية فان تقليد المأمورين العثمانيين للاجانب في لباسهم تعدّى الى كبار الموظفين الذين اصبحوا يقلدونهم ايضاً وهم لا يعرفون كيف يخدمون الوطن او كيف يسعون في اعلاء شانهِ. على انهُ وُجد بينهم من كانوا يعرفون قيمة الاصلاح في الدولة والانتظام في دوائر الحكومة كما عرفوا منبع الثورات في داخل البلاد العثمانية بدليل ما ورد في آثارهم ومؤلفاتهم العلمية والادبية . ومنذ عهد السلطان عبد المجيد كثرت المطبوعات وازدادت وكان اكثرها خاصاً بامور المسلمين ولكن وجد بينها ما كان معرّباً عن اشهر المؤلفات الغربية . وفي هذه الاثناء ظهرت مؤلفات في غاية الاهمية من اقلام بعض مشاهير الكتّاب العثمانيين كاحمد وفيق باشا وجودت باشا ومن شاكلهم من الكتّاب الذين جمعوا بين الآداب الشرقية والعلوم الحديثة الغربية ووضعوا اصول الانشاء والبلاغة واحيوا الآداب التركية وشجعوا الادباء على السَّيرِ في كتاباتهم على ما يوافق روح الزمان والمكان وحرّضوهم على متابعة الآداب العصرية الحديثة . فوقع هذا التغيير لدى الكتبة العثمانيين موقع القبول واجتهدوا في تعميم فوائدهِ لتنوير اذهان الاهالي ولكنهُ لم يلبث طويلاً حتى سقط عن اول درجة عند صعود سلّم الترقي بسبب ما وضعت لهُ يد الظلم من العقبات في سبيلهِ وما تضعهُ الى يومنا هذا . فقد كانت مطبوعاتنا في بادىء الامر حرّة بلا قيد ولا قانون معيّن وكان كلٌّ حرًّا في انشاء اي جريدة او مطبعة شاء . ولكنهُ لما ازدادت الجرائد صارت تنشر الاخبار المحلية والمقالات المختصة بالامور الداخلية وتنتقد احياناً افعال الموظفين في اكبر وظائف الدولة مما امتعض لهُ اولياء الامور واستاؤوا فاكتسبت تلك الجرائد عداوتهم فعملوا على ايقاف مطبوعاتها عند حدها ونزع حرّيتها اذ كانت على زعمهم تضرّ بالصالح العام فوضعوا سنة ١٢٨٢ هجرية اول قانون للجرائد في البلاد العثمانية وابتدأوا في تطبيقهِ بكل شدة وصرامة. وهذا النظام يقضي على كل من اراد اصدار جريدة بأخذ رخصة رسمية من الحكومة لكي تلجمها ولا تدعها تتكلم كما تشاء وتضعها تحت مراقبتها الدائمية. وعليهِ أُنشىء من ذلك الحين قلمٌ خاص لمراقبة المطبوعات الداخلية في الباب العالي ولا يزال الى يومنا هذا يصب كاس الغضب والنقمة على كل من خالف ذلك النظام من اصحاب الجرائد . ولو دققنا النظر في هذا القانون لرأيناهُ منافياً لمنافع الحكومة والاهالي معاً وتجحفاً بحقوقهم اشد اجحاف وذلك

اولاً لانهُ لم يكن الاَّ نتيجة خوف الحكومة من انتقاد الجرائد اعمالها وهو عيبٌ يحطُّ من قدرها ويدل على قلة ثقتها بنفسها

وثانياً ان الحكومة اظهرت بهذه الواسطة اشتراكها في ما يحدث في داخل البلاد من الامور المباينة للعدل والانصاف اذ سدت في وجه الجرائد منافذ الانتقاد وحرمت عليها ولوج باب الصدق في نشر ما يقع من الحوادث داخل الممالك العثمانية وهكذا هدمت ركن ما بني من قصور آمال لاجل الاصلاح

ثالثاً ان هذا النظام زرع بزور الخصومة والعداوة الشديدة في قلوب اصحاب الحمية الوطنية والغيرة الملية من رجال الدولة ووكلائها وقد ظهرت هذه النتيجة بعد بضع سنوات من وضع هذا النظام اذ تأسست جمعية الاحرار العثمانيين في اواسط ملك السلطان عبد العزيز. واول مؤسس لهذا الحزب اي حزب تركيا الفتاة مصطفى فاضل باشا المصري احد اعضاء عائلة محمد علي باشا الكبير. وكان قد تربى تربية حسنة وتلقى مبادئ العلوم والفنون الحديثة وعنده ثروة طائلة كاكثر افراد عائلته ولكنهُ لم يتفق مع اسمعيل باشا بعد ان تبوأ الاريكة الخديوية فذهب الى الاستانة ودخل في عداد الوكلاء ولم يقم هناك طويلاً لعدم اتفاقهِ مع الوزراء المقتدرين كعالي باشا وفؤاد باشا فترك الاستانة وذهب الى باريز لينشر ما لديهِ من الاعتراضات على نظام الدولة في ادارة المملكة وليميط اللثام عن تلك المعايب وهو في تربة الحرية ولم يلبث ان انضمَّ اليهِ اصحاب الاقلام الذين تفروا من ادارة عالي باشا فاصدروا عدة جرائد باللغة التركية وكتبوا فيها مقالات شديدة اللهجة على مساوىء الدولة في ذلك الحين وانتقدوا اعمال فؤاد باشا وعالي باشا الشخصية كعدم توزيع المبالغ التي جمعت لتفرّق على المنكوبين بحريق الاستانة الكبير وضياع حقوق الدولة في تسليم القلاع العثمانية التي أقيمت في بلاد الصرب. واخذ الاموال الباقية من الخزينة لتسكين حادثة الشام. والتساهل في اخماد ثورة كريد. وسوء استعمال الاموال الطائلة المقروضة. وما شاكل ذلك

هكذا ظهرت جمعية الاحرار لاول مرة في البلاد العثمانية ولم تظهر الاَّ بعد ان عيل صبر هؤلاء الرجال واحتملوا ما لا يطاق من الاهوال فاجتمعوا في باريز وارسلوا من هنالك نور الحرية على البلاد العثمانية وهاجموا الافكار العمومية فأقبل الاهالي على منشوراتهم حتى بيعت في الاستانة نسخةٌ من جريدة "حريت" التي طبعت في باريز ودخلت البلاد العثمانية سرًّا بليرة عثمانية. ولكن هؤلاء الاحرار لم يبقوا كثيرًا حتى عاد اكثرهم الى اوطانهم بعد وفاة عالي باشا اذ شملهم العفو الشاهاني وكانت الدولة ترقبهم من طرف خفيّ على الدوام ولكنهم شكلوا فرقة الاصلاح فصارت

الحكومة تهتم بكل ما يقولونهُ وتعيرهُ اذناً مصغية فازدادت شهرتهم وعدوا في مقدمة الاحرار العثمانيين سواء كانوا من الذين عادوا الى الاستانة او من الذين لم يغادروا اوطانهم . وكان ضيا باشا اشعر شعراء العثمانيين يشغل مركزاً ممتازاً بين افراد هذا الحزب فحثَّ على تعلم النظم والنثر واجتهد في اعلاء شأن الوطن كثيراً فخلد في قلوب الامة اسماً يذكر فيشكر . وكان نامق كمال بك اشهر رؤساء هذه الجمعية وهو رجل شريف العواطف والامال رزين العقل متوقد القريحة محبٌّ لوطنهِ مشغوف بترقيتهِ يكرهُ الرياء والمداهنة ويحب الحق والحرية وهو من الرجال الذين تندر امثالهم ولكن المامهُ بالسياسة كان سطحيًّا . فاتحد مع شناسي احد ادباء الترك المشهورين وعملا بدأ واحدة على استئصال شأفة الانشاء القديم وغرسا مكانهُ بزوراً جديدة فانعشا الآداب التركية وحركا عواطف الامة باشعارهما حتى استحق نامق كمال بك ان يلقب باستاذ ارباب الفكر والقلم العثمانيين . وصاهر مصطفى فاضل باشا وكان يكتب في جريدة "حرّيت" ونُفي مراراً بعد عودتهِ الى الوطن لانهُ كان لا يفتأ يظهر حميتهُ واخلاصهُ حتى داخل الممالك العثمانية . وكان في هذه الفترة مديراً لادارة جريدة "عبرت" التركية التي كانت تصدر في الاستانة

وثاني مشاهير الاحرار كان علي سعاوي افندي . فهذا بعد ان درس الفقه في الاستانة قصد باريز واقام فيها عدة سنوات تعلَّم في خلالها اللغة الفرنسوية واطّلع على الآداب الاوربية ووقف على احوال السياسة العمومية ثم ذهب الى لندن ونشر كتباً تختص بالاسلام والعثمانيين واصدر جريدة باللغة التركية اسمها "مخبر" وهو آخر من رجع الى الاستانة من الاحرار فكان يخطب في الجوامع والمحافل الخصوصية ويسعى في تنوير عقول الاهالي وترغيبهم في العلوم وليس من ينكر محبتهُ لملتهِ ووطنهِ وشغفهُ الزائد بهما حتى ذهب ضحية الوطن كما هو معلوم عند الجميع

وكان احمد مدحت افندي المقيم اليوم بالاستانة من الاحرار الذين كانت تحوم حولهم الابصار . ولا ينكر احد خدماتهِ للمطبوعات العثمانية واجتهادهُ في تدريب الاهالي على الانشاء والمطالعة ولا نبالغ اذا قلنا انهُ اكثر ترجمة وتأليفاً من اسلافهِ . ولقد طالع كتاباتهِ اكثر الناشئة الجديدة من الكتّاب الذين كثر ولله الحمد عددهم وتلقى عنهُ اكثيرون صناعة الانشاء ولكنهُ مع ذلك كلهِ كان متقلقلاً في جميع اعمالهِ غير ثبت في اشغالهِ وهو نفسهُ لا ينكر هذه النقيصة

ومن اولئك الاحرار الذين لا يزالون احياء يرزقون ابو الضيا توفيق بك وليس من ينكر فضلهُ ايضاً على المطبوعات العثمانية وشهرتهُ واسعة كما لا يخفى

هؤلاء هم احرار ذلك العهد ولكن كان ايضاً بين الضباط المتخرجين من المدارس من

كانوا يعدون من حزبهم وكثيرون من تلامذة المدارس العالية حتى الاعدادية كانوا يعضدون هذا الحزب بكل قواهم ويميلون اليهِ ميل الرجال الى غاية حسناء وكلهم كانوا يبتغون الاصلاحات الاساسية لتخليص وطنهم ساعين وراء سعادة الملك والملة وسعادة انفسهم

كلف الشمس

يقول بعض العلماء الباحثين في تاريخ العمران الاوربي ان العلم حُفظ في الاديرة وأُذيع على يد الرهبان ولولاها ولولاهم لما ابقت العصور المظلمة على شيء منهُ . وسواء صحَّ هذا القول على اطلاقهِ او لم يصحَّ فكثيرون من الرهبان ولاسيما من طغمة اليسوعيين خدموا العلم خدمةً كبيرة تذكر لهم بالشكر . وقد اطلعنا الآن على مقالة لواحد منهم وهو الاب كورتي اليسوعي في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية تشهد لهُ بغزارة العلم ودقَّة البحث فاقتطفنا منها الحقائق التالية

ظهرت كلف كبيرة على وجه الشمس في الخامس من شهر اكتوبر الماضي وغابت عنهُ في الثامن عشر من الشهر وبلغ اتساعها تسعين الف ميل اي كانت مساحة سطحها اكثر من مساحة سطح الارض الفاً وثلثمئة مرة . ولم تظهر هذه الكلف على غير انتظار لانهُ ظهر في الشمس الاضطراب منذ شهر سبتمبر من العام الماضي كأنها ملَّت السكون وارادت العود الى الثوران كما يبين من ظهور الكلف الكثيرة على وجهها وبروز المشاعل والالسنة النارية منها وكلها دليل على ان دور الاضطراب حان عودهُ والنار المخبوءة تحت الرماد عادت الى الانقاد . ويظهر من ارصاد جرينوتش ان مساحة المشاعل التي تظهر على وجه الشمس قد زادت في العام الماضي وهذا العلم . واذا حسبنا عدد الكلف دليلاً على اضطراب الشمس فقد كان الاضطراب على اشدهِ اخيراً سنة ١٨٩٣ لان عدد الكلف التي ظهرت حينئذٍ كان ٢٨٥ ثم نقص حتى بلغ ٧٣ كلفة سنة ١٨٩٩ و٤٥ كلفة ١٩٠٠ و٢١ كلفة سنة ١٩٠١ و٢١ كلفةً ايضاً سنة ١٩٠٢ وكانت الكلف التي ظهرت سنة ١٩٠١ افيق مساحة من الكلف التي ظهرت سنة ١٩٠٢ فسنة ١٩٠١ اقلُّ السنين كلفاً في هذا الدور . ثم عادت الشمس الى الاضطراب من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢ والمرجح ان اضطرابها يبلغ اشدهُ في العام المقبل اي سنة ١٩٠٤ لان زمن الانحطاط في عدد الكلف طويل متدرج اقتضى تسع سنوات واما زمن الارتقاء او العود الى الاضطراب فسريع قصير تكفيهِ سنتان . وهذا شأن كل الافعال الطبيعيَّة التي لها ادوار